بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

صدق الله العظيم

(البقرة آية ٣٢)

جامعة الإسكندرية
كلية الآداب
قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية

"الساحل الشمالى الغربى فى العصر الفرعونى"
دراسة أثرية وحضارية

رسالة مقدمة من الطالبة

فهيمة إبراهيم النحاس

لنيل درجة الماجستير فى الآداب

من قسم التاريخ شعبة الآثار المصرية والإسلامية

تحت إشراف

أ. د/ حسن محمد محى الدين السعدى أ.د. **محمد عبد الحليم نور الدين**

أستاذ تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية

أستاذ المصريات كلية الآثار ـ جامعة القاهرة

الإسكندرية ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ م

الفصل الأول

(طبوغرافية الساحل الشمالي الغربي)

تمهيد

رغم أن موضع الرسالة عن الساحل الشمالي الغربي في العصر الفرعوني دراسة أثرية وحضارية إلا أن الباحثة قد وجدت انه من الضروري التمهيد لموضوع الرسالة بفصل عن الدراسة الجغرافية للإقليم ليسهل فهم طبيعة هذا الشريط الساحلي وتكويناته الجيولوجية التي كانت لها أكبر الأثر في اهتمام المصريين به حيث تميز الساحل بتعريجات طبيعية وخلجان اعتبرت مرافئ أمنة لسفن مما أدى لنشاط تجاري وملاحي تكون عنه كثير من المدن والمحلات العمرانية وما تضمنته من حصون لحماية هذه الموانئ والمنشآت البحرية وكذلك معابد وأطلال لبعض المنازل هذه الموانئ والمعابد كان لها شهرة في العالم القديم أوردها هوميروس في ملحمة الأليـاذة والأوديسيا في القرن الثامن قبل الميلاد(١).

وقد تعرض الشريط الساحلي الشمالي الغربي من الحدود المصرية لعدة تغيرات جغرافية تسببت في تغير ملامحه القديمة وهي:

- اختفاء أفرع النيل القديمة التي كانت تغذي الإقليم وقنواته المتعددة.
- هبوط الساحل الشمالي للدلتا ومع عوامل النحر البحري أدى لغرق كثير من المدن الساحلية وانغمارها تحت الماء.
- ارتفاع مستوى سطح البحر عما كان عليه خلال عصر البلايستوسين ويؤكد ذلك الشطوط الغارقة تحت مستوى المياه على الساحل وكانت هذه الشطوط بطبيعة الحال تكون الساحل القديم للدلتا.
- جفاف بحيرة مريوط بسبب اندثار فرع النيل القديم الذي كان يغذيها بالماء العذب مما أدى إلى تقلص مساحتها إلى الثلث تقريبا وتصحر ما حولها من مساحات يابسة واختفاء كثير من مظاهر العمران القديمة(٢)

---

(١) Goddio, Fthe topography and excavation of heracleion – tonis and east canopus (١٩٩٦ – ٢٠٠٦) oxford ٢٠٠٧. P. ٢.

(٢) Bernand, A., "le Delta Egyptien d' apres les textes grecs I le confine lipyques le caire ١٩٧٠ p.٦٢.

وكذلك إبراهيم حسين محمد "الملاحة في مصر الفرعونية" رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية ص ٢٤.

شريط ضيق لا يتجاوز عرضه درجة واحدة إذ نجده من الشمال الساحل الجنوبي للبحر المتوسط علي دائرة عرض ٣٨ / ٣٥ ° وتحف به الصحراء الكبري من الجنوب علي دائرة عرض ٤٠ / ٣٠ ° شمالاً ويمتد النطاق علي طول الساحل الجنوبي من البحر المتوسط فيما بين خطي طول ٥٧ / ٢٩ ° شرقاً ١١ / ٢٥ ° غرباً فيما بين غرب الإسكندرية وحتي الحدود الغربية لمدينة السلوم.

ورغم الامتداد المحدود بين دوائر العرض فأن النطاق لا يتبع نوعاً من أنواع المناخ بعينه يتسم بسماته ويتميز بخصائصه المناخية بل هو محصور بين نوعين من أنواع المناخ احدهما مدري معتدل وهو مناخ البحر المتوسط والنوع الأخر المناخ الصحراوي وأثره في موجات الحر والجفاف والرياح الشديدة.

وهناك علاقة وطيدة لإقليم الساحل الشمالى وما طرأ من تغير وتطور فى الجزء الشمالى لإقليم الدلتا حيث مر الاقليم بمراحل عدة حتى أخذ صورته الحالية وارتبط هذا التغير بمستوى سطح البحر ، وهذا بدوره أثر على شمال الدلتا ، ففى بداية البلايستوسين فى الزمن الرابع ارتفع منسوب مياه البحر عن معدله الحالى بنحو ثمانية عشر متراً[١].

وقد تعرضت منطقة خليج أبو قير بالإسكندرية لعدة عوامل جيولوجية وحدوث هبوط أرضى مفاجئ أكثر من مرة والعديد من الزلازل أدى إلى غرق عدة مدن كانت قائمة على أرضه فى الزمن القديم، وتم إحصاء الزلازل التي تعرضت لها المنطقة منذ سنة ٢٥١م حوالى ثمانون زلزال تراوحت قوتها بين ٤، ٨ بمقياس ريختر أهمها:

١- زلزال ٩٥٦ ميلادية وكانت نتائجه سقوط جزء كبير من فنار الإسكندرية.

٢- زلزال ١٣٠٣ ميلادية الذى أدى إلى هدم باقى أجزاء الفنار.

٣- زلزال ١٣٢٤ ميلادية الذى أحدث هبوط عام لشاطئ الإسكندرية وغرق ما بقى من مبان بطلمية ملكية وجزيرة انتيرودس[٢].

على أن الزلازل لم تكن هى المؤثر الأول، بل إن ارتفاع منسوب سطح البحر الذى أدى إلى غرق الإسكندرية القديمة، وكذلك الهبوط المستمر بالشريط الساحلى منذ العصور الوسطى

---

(١) محمد محمود الصياد "تطور ساحل الدلتا الشمالي" في: مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة الجزء ١٥، من ص ١١٥-١٢٨.

(٢) عبد الحميد مرسي مسعود: "منطقة أبوقير في العصر اليوناني الروماني" رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس ٢٠٠٤، ص ١٣.

وحتى العصر الحديث كان أكبر العوامل المؤثرة في حدوث هذا التغير على سواحل الإسكندرية، ولا ننسى عوامل النحر البحري(*).

الخصائص الطبيعية لمنطقة الساحل الشمالي الغربي

تمتد سواحل مصر المطلة على سواحل البحر المتوسط إلى ما يزيد عن ألف كيلو من الشرق إلى الغرب وتمثل نوافذ لتبادل الثقافي والتجاري مع شعوب البحر المتوسط وتقع مدينة الإسكندرية بين منطقتين لكل منها خصائص طبيعية مختلفة ونظام بيئي متميز سواء من ناحية البحر أو البر فهي تتوسط شبه جزيرة الدلتا والصحراء الليبية من القرب، ومن المسلم به أن سواحل البحار والمحيطات لا تستقر على وضع فهي خاضعة بصفة مستمرة لعوامل الهرم والبناء من نحر وترسيب هوائي، وبحري وهو أوضح ما يكون لساحل دلتا نهر النيل كغيره من الأنهار مثل نهر الميسيسبي والنيجر والنهر الأصفر بالصين(١).

إن التراكمات الرسوبية لطمي النيل بطول تعاريج الساحل الشمالي قد كون مجموعة من الخلجان التي احتمت برؤوس صخرية، أو سلسلة من الحواجز الجيرية المتصلة بالبحر بأودية ضيقة، وقد أدت هذه المراسي، والدلتاوات الرسوبية الصغيرة إلى نشأة عدة مدن ومحلات عمرانية وازدهار النشاط الملاحي بهذه النطاق الساحلي ما بين الإسكندرية شرقا (المساحة التي أسست فوقها الإسكندرية في العصر البطلمي) وحتى السلوم غربا(٢).

وطبقا للتكوين الجيولوجي فلقد قسمت منطقة الدراسة لعدة أقسام أولا: الخط الساحلي ما بين أبو قير والدخيلة ولقد تميز بمجموعة من الخلجان والجزر الصغيرة التي تنفصل كرؤوس حفرية داخل البحر وأكبرها جزيرة نلسون بأبي قير، وجزيرة العجمي وجزيرة فاروس برأس التين وهي ما تبقى من سلسلة الصخور الجيرية المكونة للساحل الذي تآكل بسبب النحر البحري للأمواج العاتية والأنواء حيث تتعرض السواحل سنويا إلى ١٦ نوة خلال فصلي الشتاء والخريف

(*) وقد لمست ذلك بنفسى فى زياراتى لتنقيبات بعثة جامعة تروينو الإيطالية بجزيرة نيلسون بخليج أبو قير فى شرق الجزيرة، تحديداً حيث لاحظت انهيار جزء كبير من الطرف الشرقى للجزيرة بعرض متر لايزال يمكن رؤيته للعيان، وقد كان غير موجود من قبل فى العام الماضى، معنى ذلك وجود تآكل بحرى مستمر

(١) يوسف حليم: "تأثير العوامل الطبيعية والبشرية على واجهة مصر العربية في: سواحل مصر الشمالية عبر العصور، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١-٢ ص ٤٧٧-٤٧٨.

(٢)عبد الفتاح محمد وهيبة: مصر والعالم القديم، جغرافية تاريخية "منشأة المعارف الإسكندرية، ١٩٧١، ص ٢٢٧.

بعضها يصل ارتفاع بعضها يصل إلى ارتفاع الأمواج فيه من ١: ٣متر بمعدل موجة كل ٧: ٨ ثوان هذه الأمواج العاتية ساعدت على تآكل الخلجان والموانئ القديمة للسواحل الشمالية بشكل يمكن ملاحظته بمنطقة أبي قير شرق الإسكندرية[١] حتى أن جزيرة نلسون يقدر مستوى النحر السنوي لأطراف ١م سنويا وهو شيء لاحظته الباحثة رؤى العين في زياراتها المتعددة للموقع الأثري بالجزيرة ثم حدث أن غمرت مياه البحر التلال المتكونة من ترسيبات هوائية فلا يظهر في الوقت الحالي سوى قمم على شكل جزر صغيرة تصادم الأمواج، وتتعرض لإذابة مياه البحر لتكويناتها ويمكن تتبع هذه السلسلة المغمورة في جزيرة نلسون بخليج أبي قير شرق الإسكندرية، جزيرة فاروس برأس التين غرب الإسكندرية جزيرة االعجمي، غرب الإسكندرية، ونظرا لحداثة تلك الصخور التي تتألف من حبيبات جيرية صغيرة الحجم opitic grains وهي عبارة عن غطاء جيري على حبات الرمال لذلك يسهل تفككها لأن تكوينها الحديث لم يترك بها مجال للتماسك بعد[٢]

(٢) السلسلة الوسطى من التلال الجيرية.

وهي سلسلة من التلال الجيرية تمتد من الماكس حتى أبي صير يمكن تتبع هذه السلسلة رغم تقطعها من كانوب شرق الإسكندرية حتى أبي صير إلى الغرب وهي بذلك تقع إلى الشمال من سلسلة جبل مريوط وتكونت هذه السلسلة من حجر جيري بني فاتح أكثر صلابة من الحجر الجيري الحبيبي الذي يرجع تكوينه لفعل الأمطار والرطوبة ويكاد ينعدم فيه حبيبات الكوارتز، وقد استخدمت هذه السلسلة منذ العصر القديم كمحاجر طبيعية لتشييد المدن والمنشأت البحرية المجاورة[٣] وتقطع السلسة مجموعة، من الأودية الجافة التي تنحدر شمالا وجنوبا على جانبي السلسلة تتميز بأنها ضيقة، ضحلة، تنهي بمراوح فيضية على نطاق صغير ربما كانت تلك الأودية هي المسئولة عن تبطين الخليج البحري لاسيما عن المسافة بين الساحل، وجزيرة فاروس حيث لوحظ طبقات طينية أسفل الطبقات الرملية نلاحظ أن هذه السلسلة مرتفعة في بعض الأجزاء قليلة الارتفاع في أجزائها الأخرى كما لوحظ وجود أصداف منطمرة في تكوينات صخور هذه السلسلة تقطع السلسلة مجموعة من الأودية الجافة تنتهي بمراوح فيضية على نطاق صغيرة ربما تعتبر تلك الأودية التي كانت قنوات لفرع النيل الغربي هي المسئولة عن تبطين الخليج

---

(١) يوسف حليم المرجع السابق، ص ٤٨٠.

(٢) محمد عبد القادر راشد، مدينة الإسكندرية البطلمية وإقليمها دراسة في الجغرافية من ٤١: ٤٤ التاريخية رسالة ماجستير غير منشورة، اسكندر ٢٠٠٠.

(٣)نفس المرجع، ص ٣٩

البحري لاسيما في المسافة بين جزيرة فاروس والشريط الساحلي وبذلك تعتبر هذه السلسلة همزة وصل ما بين السلسلة المكونة لساحل البحر، وبين الحواف المالية للدلتا[١]

منخفض وادي مريوط

يمتد المنخفض بين السلسلة الساحلية الممتدة من الماكس حتى أبي صير ويمكن تقسيمه إلى جزأين:

أ- الخليج البحري المغمور تحت الماء الذي لم يتم ردمه وهو بقايا لبحيرات ساحلية ثم ردم جزء منها عن طريق الارساب الهوائي بما يؤكد ذلك وجود ارسابات من طمي نهري في طبقات السلسلة السفلى[٢].

ب- وادي مريوط تقع وادي مريوط في المنطقة بين سلسلة تلال الماكس أبي صير، وسلسلة جبل بهيج في الجنوب يوجد بهذا الوادي الزراع البحري لبحيرة مريوط وحولها منطقة يطلق عليها سباخة وهي مناطق ضحلة من البحيرة تستخدم لاستخراج الملح نتيجة شدة البخر من الحرارة المرتفعة لفصل الصيف، هذه المنطقة يتراوح سمك الطبقات الطفلية بها إلى ٧ أمتار وهي من الرمال البيضاء المختلطة بالأصداف ونظرا لترسيبات النهرية القديمة المحملة بالغرين والطمي فالتربة قديما كانت صالحة للزراعة وتماسك التربة يجعل حفر الآبار لاستخراج مياه عذبة بأعماق بسيطة من ٢: ٤ أمتار[٣]. ويطلق علماء الفرنسيين، على هذا الوادي ورياح البحر حيث وصفوه بأنه هو المسافة أو الشريط الضيق الموازي لساحل مريوط الشمالي والذي يفصل البحيرة عن البحر المتوسط، والذي يضيق في بعض الأحيان ليصل المسافة فرسخ واحد قرب مدينة أبي صير القديمة وهو وادي فروع بنخيل متناثر بطول الوادي، ولا يستطيع المرء أن يمشي في وادي ورياح البحر لمسافة أكثر من ٤٠٠متر دون أن يقابل آثار حوائط قديمة موازية لطول الوادي أو متعامدة عليه كما وهد عند فتحة الوادي على اليمين آثار حائطين متوازيين يبلغ ارتفاع كل منها ٥: ٦ متر

---

(١) محمد عبد القادر راشد، المرجع السابق، ص ٣٩.

(٢) نفس المرجع ص ٤٤.

(٣) المرجع السابق ص ٤٤

Worne., A., G and stane., d., jop. citp.٣٤.

وطول كل منها حوالي ٩٠ متر كل هذه الضرائب أطلال لمنازل و أرصفة لموانئ قديمة[١].

أفرع النيل القديمة

نحن لا نعلم شيء عن عدد أفرع النيل في العصر الفرعوني ويخيرنا بطليموس الجغرافي أن هذه الأفرع هي:

- الفرع المنديس القديم، وقد أصبح يسمى البحر الصغير وينتهي في بحيرة المنزلة.
- الفرع التانيس الذي أصبح يسمى فرع تانيس ويتفق الآن في بعض أجزاؤه مع بحر جادوس.
- الفرع البيلوزي الذي ينتهي إلى بيلوز أو القلزم وقد اختفى في القرن السابع الميلادي وهناك فرع صغير وسط الدلتا كان يصب في بحيرة البرلس (نتروه) غير مجراه وابتعد عن رأس الدلتا، كذلك فرع مليج الذي يتفق مع بحر شبين الحالي في جزء منه، وفرع سخا الذي يتفق في بعض أجزاؤه مع ترعة القاصد والجعفرية الحاليتين، وفرع أبيار ويتفق في بعض أجزاؤه مع ترعة الباجورية الحالية[٢].
- أما الفرعان الرئيسيتان لنهر النيل فقد كان الفرع البيلوزي في الشرق والفرع الكانوبي في الغرب، وإذا كان الوضع الحالي يوضح أن نهر النيل بفرعيه الرئيسيين فرع رشيد في الغرب، وفرع دمياط في الشرق فإن الفرع الرشيدي لا بد يتطابق في بعض أجزاؤه مع الفرع الكانوبي القديم[٣] الذي كان يغذي الساحل الغربي بترعة يرى عبد الفتاح وهيبة أنها تتفق مع ترعة المحمودية الحالية وترعة دياب ويستشهد بما أورده جورج القبرص أن في غرب الدلتا كان يوجد فرع الإسكندرية الذي يتفق في أجزائه مع فرع النيل الكانوبي.

ويختلف الجغرافيين في تحديد بداية الفرع الكانوبي أو مجراه القديم إلا أن أحدث التقنيات الأثرية التي قامت بها بعثة فرنسية. ألمانية مشتركة عند قرية شديا على بعد ٢٨ ك من الإسكندرية أثبت بأجهزة G.P.S أن مدينة شديا القديمة والتي جاء ذكرها في كتاب استرابون الجغرافي تقع أطلالها والتي كانت نقطة بداية القناة التي تصل المياه من الفرع الكانوبي للنيل

---

(١) شابرول لاتكريه المرجع السابق ص ٥٦.

(٢) محمد عبد الفتاح وهيبة المرجع السابق، ص

(٣) Bernand., A., op.cit p.٦٢

إلى هذه المدينة ثم إلى الساحل الشمالي الغربي أو ما يطلق عليه حاليا الإسكندرية هذه المدينة القديمة على المصب الكانوبي ذات الموقع الاستراتيجي الهام حيث كان لها أهمية في تبادل التجارة التي ترد وتخرج من الإسكندرية قد اصبحت الآن عبارة عن مجموعة من التلال تسمى، كوم (بحيرة) كوم الحمام، كوم أبو شريف، وكوم النشوى، وهي مجموعة من التلال بارتفاع ما يقرب من ١٠ أمتار أما تحديد موقع المدينة بدقة فقد ظهرت تحت الأرض المنزرعة حديثا وكذلك فرع النيل القديم والقناة التي كانت تغذي المنطقة التي تحمل الآن اسم الإسكندرية[١].

الترعة المغذية للساحل المتفرع من النهرالغربي

يصف دي كوزون القناة التي كانت تغذي المدن الواقعة على البحر المتوسط بالماء العذب قبل إنشاء مدينة الإسكندرية والتي كانت تبدأ من فرع النيل الكانوبي عن شديا كوم الجيزة حاليا بالقرب من كفر الدوار أنها كانت تتفرع إلى أثنى عشر ترعة فرعية قديما قبل بناء مدينة الإسكندرية ردمت هذه القنوات الفرعية وخططت شوارع المدينة فوقها بنفس التوزيعات واكتفى بقناتين أصبحت المصدر الرئيسي للماء العذب للمدينة، وأنه عند جفاف الفرع الغربي للنيل (الكانوبي) ثم مد هذه القناة من فرع رشيد عند نقطة تقع بالغرب من بلدة وسوق[٢] وكانت تتجه بنفس الاتجاه الذي محمد علي باشا قناة المحمودية عليه ١٨٢٠.

القناة الواصلة بين الإسكندرية وكانوب

يصف استرابون أن الطريق الملاحي بين الإسكندرية وكانوب قائلا "حين تترك الإسكندرية من الباب الكانوبي فسوف تجد على يمينك قناة ملاحية تسير بحذاء حدود البحيرة (مريوط) في اتجاه كانوب مارة باليوسيس وهي قرية بالقرب من الإسكندرية ونيكوبولس تقع على شاطئ القناة الكانوبية. "وطبقا لذلك فإنه يوجد على يمين الخارج من الفرع الكانوبي قناة صالحة للملاحة، ثم يقول: "بعد اليوسيس وعلى الجانب الأيمن يخرج فرع من القناة إلى شيديا، وبعد هذا تكون الملاحة إلى كانوب موازية للساحل الذي يسير في فاروس إلى المصب الكانوبي ....كان السكندريون يصحبون إلى معبد سيرابيس كل عام في كانوب في أعياد بهيجة" ، وهي الآن تحتل الجزء الشرقي من خليج أبي قير عن القلعة التوفيقية إلى الشرق بتلاشين كيلومتر من الإسكندرية ولا تزال أطلال المدينة القريبة جزء منها تحت سطح البحر غارقا، وقد اختلفت الآراء حول تحديد

---

(١) Bergmann,M., & Heinzelmann., M: "Schadia, Alexandria, s harbour on the canopic nile prelimary report on the second season ٢٠٠٤.

(٢) De Cosson, op.cit p.٨١

الموضع القديم للفتحة الكانوبية التي كانت تقع عندها مدينة كانوب ويذكر استرابون أن بين كانوب والإسكندرية مائة وخمسون غلوة، وإذا كانت الفتحة الهيروكليونيس تقع بين مدينة كانوب والإسكندرية فإنه يفسر رأي بلليني الذي يصف نقراطيس ثم يضيف (نقراطيس التي أدى اسمها بكثيرين إلى أن يطلقوا اسم القتحة النقراطيسية على تلك الفتحة التي يسميها آخرون الفتحة الهيرقلية دون إشارة إلى الفتحة الكانوبية التي تجاورها ويستطيع المرء أن يبحر عن طريق البحيرة نحو النهر قم يتوجه إلى كاتوب والى شريا ، وقبل أن يمضي إلى اليوسين (النزهة حالياً) يحد على يمينه ترعة تؤدي إلى شريا تبعد عن الإسكندرية بأربعة شونات، وجدير بالذكر أن جراتيان لوير حين وصف بعض آثار مريوط القديمة وجد أملاك لهذه الترعة القديمة فقال "جدير بالملاحظة أن المرء يجد بقايا شديدة التميز لهذا الفرع القديم إلى اليمين من ترعة الإسكندرية وأن بدءاً من الترعة وحتى النيل بامتداد ترسخ لا يجد المرء أي آثار تدل عليه وذلك بسبب الممرات الذي يعمل ليل نهار فساهم في محو أي أثر ... ومع ذلك من السهل أن يميز تلك الترعة التي قد تكون البقية الباقية من الفرع القديم من المرجع ألا تكون قد طمست تماماً أو أن تكون هي نفسها قد تحولت إلى ترعة أخرى للري جراتيان لوين ص ٤٠٨

وهناك مجموعة من القنوات الحديثة المستخدمة من الري تجري ربما في نفس مجرى القنوات القديمة حيث ما يزال يزرع الجزء الجنوبي الغربي من إقليم مريوط (العامرية) بقنوات ممتدة من المحمودية، القللا ، العموم ، النوبارية ، التي تعتبر الترعة الرئيسية للري، وتتبع قناة المحموية في الشرق نفس المجرى القديم للفرع الكانوبي الذي كان يمثل النهر الغربي الذي كان يغزي المنطقة الشمالية الغربية من خلال قنوات صغيرة متفرعة وهناك آثار لهذا الفرع القديم ذكرها عمر طوسون خلال المسح الأخرى والجغرافي الذي قام به ١٨٣٥ ، حيث ذكر أن النهر الغربي قد جف تماماً في القرن الثاني عشر وتحول إلى ملاحات وأن القناة المقربة للمنطقة بالماء العذب قد تحولت إلى الفرع الرشيدي الذي كان يغذي المنطقة بالماء العذب وقناة القللا هي فرع من قناة المحمودية جنوب غرب الإسكندرية في الوقت الحالي ويمكن تتبع مجراها من خلال تصوير القمر الصناعي حتى تتجه إلى إقليم مريوط إلى الغرب.

القناة الواصلة بين بحيرة مريوط والبحر المتوسط:

كان مستوى الماء في بحيرة مريوط دائماً محكوم بمستوى فيضان نهر النيل، لذلك فلقد حفرت قناة فرعية لتصريف مياه الفيضان عند زيادته لتصريف المياه الزائدة من بحيرة مريوط إلى البحر كانت هذه القناة تنتهي عند المصب ببوابة أو بغاز لا يفتح إلا وقت شدة الفيضان، ويظل مغلق طوال العام ليحافظ على منسوب المياه داخل القناة المتصلة بالبحيرة والتي كانت تستخدم كطريق ملاحي تجاري بين بحيرة مريوط، والبحر المتوسط ويذكر دي كوزون أن هناك خور، أو وادي ضيق يمر عن طري شرق بحيرة مريوط من الماكس جاهل الإسكندرية عبر الدخيلة والورديان وهذه القناة هي التي استخدمها الإنجليز في العصر الحديث ١٨٠٠ لغمر بحيرة مريوط بماء البحر وإغراقها بعد أن كانت قد جفت كنوع من الحصار وقطع الاتصال بين فرق الحملة في الغرب والموجودين بالإسكندرية(١).

رغم أن سترابون لم يذكر شيء عن هذه القناة إلا أن وجودها أمر منطقي من ناحية لصرف المياه الزائدة وقت الفيضان من البحيرة إلى البحر، ومن ناحية أخرى استخدامها كوسيلة ملاحية لنقل البضائع بالسفن الشراعية عن طريق الرياح إلى الميناء المطل على البحر ومن إلى الميناء الرئيسي الميناء الغربي الذي يذكر سترابون أهمية في تصدير البردي والقمح وغيره من صادرات مصر لبلاد الإغريق وهذا الميناء وهذا الميناء كان أحد الأسباب الهامة التي جعلت الأسكندر يختار هذا المكان ليقوم

بحيرة مريوط

تقع بحيرة مريوط على مقربة من البحر المتوسط في شمال غرب الدلتا وقد أطلق عليها استرابون بحيرة ماريا أو مريوطيس وقد كانت متصلة بالنيل بواسطة ترعة شيديا أو المحمودية حاليا ويمكن القول أن وجود هذه البحيرة يرجع إلى تفرعات النيل القديمة لعدم اتصالها بالبحر بحكم حاجز الفاصل بينها وبين البحر في شكل سلسلة من التلال الجيرية لذلك عندما تدهورت أفرع النيل وارتفعت القنوات التي تحمل ماءه تحولت البحيرة إلى مستنقع ملحي في معظم أجزاءه أو أرض جافة وظل هذا الحال إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي حين قطع الإنجليز الجسر الفاصل بين بحيرة أبي قير والترعة التي تؤدي إلى بحيرة مريوط مما تسبب عن غرق البحيرة

---

(١) De cosson ibid P.٨٣

بتحصينه وإقامة منشآته حوله لحماية الميناء المصري الذي كان معروف قديماً في العالم الإغريقي وليؤمن وصول هذه الصادرات إلى بلاده دون خوف من مهاجمه الأسطول الفارسي

وامتلاءها عن الماء البحر، ويبلغ امتدا شاطئ البحيرة الشمالي نحو ٩ كم وامتداد شاطئها الجنوبي في خط مستقيم نحو ١٣كم وأقصى اتساع للبحيرة يقع في منتصفها ولا يتعدى ٩ كم[١].

لم تكن بحيرة مريوط ممحوة تماماً كما يعتقد البعض فرغم جفاف الفرع الرئيسي للنيل الذي كان يغذي البحيرة ، إلا أنها كانت تملئ بالمياه في بعض الأوقات من الشتاء بفعل الأمطار الشديدة، إلا أنها ما دون ذلك من العام جافة يمكن للمرء أن يعبرها على قدميه حتى أغرقت بمياه البحر ١٨٠٠ بفعل قائد الحملة الإنجليزية وعبور البحيرة كان لا يتم ـ وقت جفاف مياه الأمطار الشتوية التي تطل حتى مجيء الربيع[٢] يصف علماء الحملة أرض البحيرة التي كانوا يعبرونها سيراً على الأقدام حيث لم يتم غرق البحيرة بالكامل بماء البحر بعد قطع السد إلا بعد ٧٠ يوم كاملة سارع خلال أفراد الحملة في وصف وتسجيل كل ما يحيط بالبحيرة حيث يقول شابرول لاتكريه أن الأرض كانت منبسطة تماماً وهي سوداء موحلة يختلط بها كثير من الرمال، وعند الاقتراب من الشاطئ نرى كمية كبيرة من كتل الحجارة الضخمة المتقطعة . هي ألسنة الأرصفة للميناء القديمة المطل على البحيرة والذي كشفت عن التقنيات فيما بعد والأرض مغطاة بالقواقع لدرجة تبدو فيها بيضاء تماماً والأرض مالحة ولا يمكن زراعتها لذلك سميت بالسباخة ، حيث كانت تستخدم لاستخراج الملح [٣].

أهمية بحيرة مريوط كميناء تجاري[٤]:

عرفت المنطقة غرب الإسكندرية بتراثها الزراعي والصناعات المتعددة مثل مصانع النبيذ ومعاصر الزيت، ومصانع الورق وعديد من أفران لصناعات الفخارية والتي كانت متصلة بوادي النيل ، وبدول البحر المتوسط بطرق ملاحية.

وقديماً ما بين الإسكندرية والسلام وجدت ثلاثة محلات عمرانية هي تبينا ، وماريوتيس ، ومرمريكا والتي عرفت بتميزها الاقتصادي وممتلكاتها بالإضافة للطرق البرية والبحرية، كل ذلك كان إقليم مريوط والواقع إلى الغرب من الإسكندرية حتى ٧٠ ك.

---

(١) أحمد محمد إسماعيل الجمال إقليم الحوف الغربي (البحيرة حاليا) في العصر الفاطمي دراسة سياسية وحضارية في الفترة من ٣٥٨ –٥٦٧ رسالة ماجستير غير منشورة إسكندرية ٢٠٠٨، ص ٢٧، ٢٨.

(٢) شايرول لانكرية ، المرجع السابق ص ٥٧

(٣) نفس المرجع ص ٥٨

(٤) Rodziewicz, m., "From Alexandria to the west by land and by water ways" In: BCH A theirs ١٩٨٨ p.

هذا الطريقان القديمان قد تركا آثاراً على الشريط الساحلي تمثل في أطلال مرافئ ومحلات عمرانية ، وحـ ومنازل ، وأحياء ومقابر إلخ.

وحتى الآن فإن أفضل ما دخل إلينا من هذه الأطلال في اتجاه الساحل الإسكندرية، ولوكاسيس، وبراينتيوم ، وبلنتين ، تابوريرس، والمدينة التي أطلق عليها ماريا وكوم تروجا كل هذه المحلات العمرانية هي أفضل ما تبقى لنا من أطلال المدن القديمة حول بحيرة مريوط، أما بالنسبة لساحل البحر فقد اختفى جزء كبير منها كلية أو جزئياً تحت الماء.

أما بالنسبة لبحيرة مريوط فإن المناخ شبه الجاف المملح ما يزال يحفظ إلى بعض الأطلال الذي قدم لنا جزء كبير من المعلومات عن هذه المرافئ على بحيرة مريوط والمعرفة الآن باسم ملاحة مريوط.

أما في الإسكندرية فإن أطلال الميناء الذي عثر عليه غرب الإسكندرية على جزيرة فاروس هو أفضل ما تبقى لنا من العصر القديم.

إن عنوان هذا المقال محدد بإطار تأريخي للعصر السكندري ولذلك فلن يتعرض للآثار التي تسبق بناء الإسكندرية إلا أننا مضطرين إلى العرض لإحدى هذه المدن هي مدينة أبيس والتي تقع إلى الغرب من مرسى مطروح بـ ٢٥ ك وفي العصر اليوناني سميت برايتنيوم والتي نشئت منذ عدة سنوات، وقد نشره لبيب حبشي[١] حيث كتب قليلاً هي تلك المحلات العمرانية التي لا تزال متبقية بالدلتا والتي ميز على معظمها في الشرق وقليلاً منها في وسط الدلتا، وأما في الغرب فإننا نادراً ما نعتر على مواقع ذات قيمة فعلية مثل تلك التي نحن بصددها والمتعلقة بالمواقع العسكرية خاصة فإن أهميتها ترجع أنها ثابتة في مكانها لم يتم نقلها أو غير مشكوك في نقلها من وادي النيل ولقد أثبت فعلياً قيمة ما تحدثت عليه سابقاً ألندرو، وبرنتون ودي كوزون على بعد ٣٠٠ ك من العامرين وربط ما بين مواقع العامرية والغربانيات والعلمين والموقع الأخير الذي عثر عليه غرب مطروح بـ ٢ ك في قرية عجيبة هذا هو الطريق القديم الذي عثر به على سلسلة من المحلات العمرانية القديمة أما الطريق الآخر الذي أشار إليه دي كوزون في الثلاثينات فهو طريق ممتد من الإسكندرية حتى أبو صير ثم السلوك وسيرينيكا.

بالإضافة لهذان الطريقان البريان فهناك طريقان آخرين ملاحيان.

---

(١) Hbachi, L., The militral posts of Ramsses ٢nd and the coastal road and the western port of the delta, BIFAO.tome٨٠ ١٩٨١

والتي اشتهرت بزراعة البردي ومصانع النبيذ حيث عرفت مداه المنطقة بزراعة الكروم المتعدد الأنواع وكان لهذا النبيذ شهره عالية في بلاد الإغريق يؤكد ذلك ما ورد كتابات هو راس ، سترابون ، فيرجيل اشتهرت المنطقة حول بحيرة مريوط كذلك بمصانع وأفران الفخار الذي يستخدم الطفلة المحلية وكان يتم تصديره كذلك عرف بالأواني المريوطية ذات اللون الفاتح والتي كان تستخدم لتخزين النبيذ والمحاصيل الأخرى وعثر على كثير من هذه الأفران في سلسلة متتالية جنوب البحيرة من العامرين إلى برج العرب.

كان للطريق النهري المتمثل في فرع النيل القديم (الفرع القانوني) أهمية كبيرة في نقل المنتجات الزراعية والمحاصيل من مصر الوسطى، والصعيد والتي كان جزء منها للاستهلاك المحلي وجزء يتم تصديره لروما وجزر اليونان كان هذا الطريق ينقسم إلى اتجاهين أو ميناء بين أحدهما يقع على ساحل البحر داخل ما يسمى حالياً مدينة الإسكندرية، والآخر يتجه إلى بحيرة مريوط حيث يتم تصدير عن طريق الميناء المطل على البحيرة المعروفة باسم ماريا، والذي انفصل في العصر الروماني بأمر من الإمبراطور حسينيان إلى الإقليم الليبي سيرنيكا الذي كان يعاني من فقر في ثرواته[١].

يخبرنا المؤرخ اليوناني سقراط أن سواحل مصر الغربية كانت تضم عدة قرى قديمة قبل بناء الإسكندرية وغرباً حول بحيرة مريوط كذلك وكانت أكبرها ماريا والتي يرجع تأريخها جميعاً للعصر الفرعوني وتعرف بحيرة مريوط القديمة حالياً باسم الملاحات والتي تمتد إلى الغرب من الإسكندرية لمساحة ٦٠ك وتنفصل عن الشريط الساحلي وتبدأ البحيرة بالقرب من الفرع الكانوبي بجوار الإسكندرية من الجهة الجنوبية الغربية وتتجه إلى الغرب بطول الساحل. إن الموقع المتميز لهذا الإقليم هو ما حدا بالإسكندرية لاختيار لإنشاء مدينة ما بين عدة موانئ مطلة على ساحل البحر شرقاً، وقربها غرباً من قنيا المجاورة لبحيرة مريوط[٢].

(١) Haas christorphos, "Alexandria and the mareotis region urbom centers and nural contexts in late antiquity".

(٢) ibid p.٥٠-٥١